[166] إنّ َ الصنف الثالث وهم ذووا الأوعية الصغيرة أشخاص خطرون، كما أنّ َهم مصداق للآية الشريفة (والّ َذي خ َبُثَ)، إلاّ أنّ َ الصنف الأوّل والثاني مصاديق للآية الشريفة: (البَلَدُ الطيّ َبُ). الفاعلية اكتسابية أم جبرية؟ قابلية القابل - التي هي شرط الكمال - اكتسابيه أم جبرية؟ وبعبارة أخرى: هل أنّ ا خلق بعضاً بقابلية ضخمة وخلق آخرين مع قابلية ضعيفة؟ إنّ قابلية القابل اكتسابية لا جبريّة; وذلك لأنّ القول بجبريتها يعني عدم ترتب الذنب على الشخص الذي ينبت قلبه الرياء بدل الاخلاص، وما عليه من عقاب، كما أنّه لا فائدة في بعثة الأنبياء. من هنا نقول: إن الإنسان كلّما سعى لكسب التقوى والمعرفة الإلهية أكثر، كلّما استعدّ قلبه أكثر لقبول الوحي الإلهي والآيات القرآنية. إنّ القرآن يُوكّد على كون الإنسان مخلوقاً بأفضل شكل وصورة (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أحْسَن تَقْوِيم)،(1) ووفقاً لهذه الآية فانه لا فرق في خلق الناس، والهداية والضلالة يتوقفان على الإنسان ذاته. وحتى الشيطان لم يُخلق خبيثاً، ولذلك كان في صفوف الملائكة وعبد ا ستة آلاف عاماً.(2) نعم، انّ َ الناس يختلفون عن بعضهم البعض، ليس بمعنى أنّ َ بعضهم خلق حسناً وبعضهم الآخر خلق سيئاً، بل في أن بعضهم خلق حسناً وبعضهم الآخر أحسن، لذلك قال رسول اللهصلى ا عليه وآله): "الناس معادن كمعان الذهب والفضة".(3) في النتيجة لم يخلق إنسان شقياً أو خبيثاً، وقابلية القابل اكتسابية لا جبرية. إنّ َ المطر يهطل شفافاً وزلالا لكنّه يتسخ عندما يلتقي بالأرض الوسخة، لكنه يبقى نظيفاً عندما يقع على الأرضي النظيفة، فيبقى على فطرته وطهارته. 1. سورة التين الآية 4. 2. ميزان الحكمة، الباب 2005، الحديث 9365. 3. بحار الأنوار 58: 65.